قال المصنف – رحمه الله –: **[باب صفة صلاة النبي ﷺ]**

يقول المصنف –رحمه الله– : **[باب صفة صلاة النبي ﷺ]** الصفة صفة الشيء حليته وما يتميز به عن غيره، وقوله : صفة الصلاة . الصلاة تطلق في اللغة بمعان :

تطلق الصلاة بمعنى الدعاء ومنه قول الشاعر :

تقول بنتي وقد قربت مرتحلاً يا رب جنب أبي الأوصاب والوجعا

عليك مثل الذي صليت فاغتمضي عيناً فإن لجنب المرء مضطجعا

فقوله : "عليك مثل الذي صليت" أي: مثل الذي دعوت، فهذا من إطلاق الصلاة بمعنى الدعاء ومنه قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: ادع لهم، وكان ﷺ إذا جاءه الرجل بصدقته دعا الله أن يبارك له في ماله وأن يتقبلها منه، وكذلك تطلق الصلاة بمعنى الرحمة ومنه قول الشاعر :

صلى المليك على امرئ ودعته وأتم نعمته عليه وزادها

أي: رحم الله امرءاً ودعته، وقال بعض العلماء : ومنه صلاة الله على نبيه ﷺ فإنها بمعنى الرحمة يقال : صلى عليه إذا ترحم، وتطلق الصلاة بمعنى البركة والزيادة في الخير وحملوا عليه قول النبي –ﷺ– كما في الصحيح: ((اللهم صل على آل أبي أوفى)) .

وأما بالنسبة لمعنى الصلاة في الاصطلاح : فالصلاة في اصطلاح الشرع : عبادة مشتملة على أقوال وأفعال مخصوصة بنية مخصوصة . وقال بعض العلماء : عبادة مشتملة على القيام والركوع والسجود والقراءة والتسبيح مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم، ولكن هذا التعريف الثاني محل نظر ولذلك قال بعض العلماء : إنه تعريف غير جامع والسبب في هذا أنه قصر الصلاة على الركوع والسجود قال : عبادة مشتملة على الركوع والسجود مع أن الصلاة تطلق على ما لا ركوع فيه ولا سجود كصلاة الجنازة فإن صلاة الجنازة لا ركوع فيها ولا سجود، ومن هنا راعى بعض العلماء في الدقة أن يقول : عبادة مخصوصة مشتملة على أقوال وأفعال مخصوصة بنية مخصوصة .

وقوله رحمه الله برحمته الواسعة : **[باب صفة صلاة النبي ﷺ]** هذا الباب اعتنى به العلماء عناية عظيمة اعتنى به المحدثون في كتب الحديث واعتنى به الفقهاء في كتب الفقه ومتون الفقه فاعتنوا ببيان هدي النبي –ﷺ– في الصلاة لأنه أكمل الهدي وأحبه إلى الله –ﷻ– وكان العلماء يقولون : من علامات أو أمارات أو بشائر القبول للعبد أن تكون صلاته كصلاة النبي –ﷺ– فإذا صلى المسلم كصلاة النبي –ﷺ– فهو حري أن يتقبل

الله منه، بل حري برحمة الله –ﷻ– وهدايته كما قال الله ﷻ: ﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ فمن اتبع رسول الله –ﷺ– فإن الله وعده بالهداية، فإذا كانت المتابعة في أحب الأعمال إلى الله وأزكاها عند الله وأعظمها أجراً عند الله –سبحانه– بعد الشهادتين وهي الصلاة فإن الهداية أعظم، ولذلك ينبغي للمسلم أن يحرص على فقه هذا الباب ومعرفة هدي نبي الأمة –ﷺ– وإن السعيد من المسلمين من إذا رأيته وقف بين يدي الله –ﷻ– تفكر وتدبر وتأمل كيف كان رسول الله –ﷺ– يصلي، يصلي كصلاته فيقرأ كقراءته ويركع كركوعه ويسجد كسجوده يسأل ماذا كان رسول الله –ﷺ– يفعل، فإذا رُزق الإنسان حب السنة ورُزق محبة هدي النبي –ﷺ– فإنه حري بالكمال والفضل، ولذلك كان أئمة التابعين وخيار التابعين لصحابة هذه الأمة كانوا يدخلون على الصحابة وكان الرجل رفيع القدر رفيع المكانة يدخل على الصحابي من أصحاب رسول الله –ﷺ– يسأله عن أمر واضح كيف كان رسول الله –ﷺ– يفعله، فكانوا يحبون السنة فيدخل عمرو بن الحسن –رحمه الله برحمته الواسعة– على عبدالله بن زيد الصحابي الجليل ويقول له : كيف كان النبي –ﷺ– يتوضأ، هذا الرجل مع جلالة قدره وكبر سنه ومع فضله يخاطب هذا الصحابي كيف كان النبي –ﷺ– يتوضأ، كانوا يرون أن السنة عالية ومنزلتها عالية حتى إنهم يسألون عن أبسط الأشياء والأمور الواضحة التي تكون واضحة عند الناس لكنها في هدي رسول الله –ﷺ– وصفة وضوئه تكون دقيقة وتحتاج إلى شيء من التحري والعلم والتثبت والمتابعة والملازمة حتى يكون الإنسان في أعلى المراتب وأفضلها بمتابعة رسول الله ﷺ.

دخل أبو المنهال سيار بن سلامة –رحمه الله– قال : دخلت أنا وأبي على أبي برزة الأسلمي –رضي الله عنه وأرضاه– فقال أبي: كيف كان النبي –ﷺ– يصلي المكتوبة ؟ كان التابعون إذا دخلوا على الصحابة لا تفتر ألسنتهم عن سؤالهم ماذا كان يفعل رسول الله –ﷺ–، وهكذا السعيد الموفق من المسلمين كلما جالس العلماء سألهم ما هي السنة وما هو هدي رسول الله –ﷺ–، كثير من يتوضأ وقليل من يصيب هدي رسول الله –ﷺ– وكثير من يصلي وقليل من يصيب هدي رسول الله –ﷺ– في صلاته، وقد كانت هديه عليه الصلاة والسلام أكمل الهدي وأفضله وأحسنه ولذلك اعتنى به العلماء والأئمة واعتنوا بفقهه ومسائله وأحكامه .

وقول المصنف –رحمه الله– : **[باب صفة صلاة النبي ﷺ]** أي: في هذا الباب سأذكر لك جملة من أحاديث رسول الله –ﷺ– التي اشتملت على بيان هديه وما كان عليه من سنته صلوات الله وسلامه عليه في صلاته. وإذا قيل : صفة صلاة النبي –ﷺ– فإن هذه الصفة تشتمل على الأقوال وتشتمل على الأفعال وكل من الأقوال والأفعال منها ما هو ركن لا تصح الصلاة بدونه ومنها ما هو واجب يلزم العبد بالإتيان به ومنها ما هو فضيلة مستحب إن جاء به فهو أحسن وأكمل وأفضل وإن تركه فلا تثريب عليه، فإذا قيل : صفة

صلاة النبي -ﷺ- فقد جمعت هذه المراتب كلها جمعت الأركان وجمعت الواجبات وجمعت السنن والمستحبات، وقد ذكر رحمه الله أربعة عشر حديثاً من أحاديث النبي -ﷺ- والفقهاء يعتنون بسنة النبي -ﷺ- في باب يقولون له : "باب صفة الصلاة" فيذكرون فيه أركان الصلاة وواجباتها والسنن والمستحبات، وهذا كله من باب العناية بهدي رسول الله -ﷺ- فإنه لا يُحكم بكون الفعل ركناً أو القول ركناً إلا إذا دل عليه الدليل من هدي رسول الله -ﷺ-، وكذلك أيضاً بالنسبة للأقوال التي أُثرت عنه عليه الصلاة والسلام فكلا الفعلين من المحدثين والفقهاء إنما يقصد بيان هدي رسول الله -ﷺ- .

قال المصنف – رحمه الله –: **[٩٤ – عن أبي هريرة ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا كبر في الصلاة سكت هنيهةً قبل أن يقرأ، فقلت: يا رسول الله – بأبي أنت وأمي –، أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة، ما تقول؟ قال: (أقول: اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد)]**.

هذا الحديث حديث الصحابي الجليل حافظ الصحابة أبي هريرة عبدالرحمن بن صخر –رضي الله عنه وأرضاه– الذي حفظ فيه من رسول الأمة –ﷺ– هذه السنة الكريمة في دعاء الاستفتاح، ولقد بارك الله في حرص أبي هريرة –رضي الله عنه وأرضاه–، هذا الصحابي الذي له فضل عظيم على أمة محمد –ﷺ– يحبه المؤمن ويبغضه المنافق قد جاء في الأثر عنه عليه الصلاة والسلام أنه جاءه أبو هريرة يبكي حينما دعا أمه إلى الإسلام فأسمعته في رسول الله –ﷺ– ما يكره فجاء يشتكي إلى رسول الله فدعا النبي –ﷺ– لأمه أن يهديها، فرجع أبو هريرة إلى البيت سمع خشخشة الماء من وراء الباب فلما أراد أن يدخل قالت : إليك عني فلما انتهت من غسلها قالت : "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله". فجاء أبو هريرة إلى رسول الله –ﷺ– يبكي من الفرح فدعا الله أن يحببه إلى المؤمنين . وهذه منقبة من مناقب أبي هريرة وفضيلة من فضائله نشيد بفضله؛ لأنه كان من أحرص الصحابة على حفظ السنة وتتبعها، أسلم عام خيبر ومع ذلك حمل في قلبه هم السنة وكان رضي الله عنه وأرضاه ينسى حتى نفسه التي بين جنبيه فلا يطعم ولا يشرب لشغله بسنة رسول الله –ﷺ– فحفظ من فم رسول الله –ﷺ– ومن هديه وسمته ودله ما صار به وعاءً من أوعية العلم، حفظ من الأحاديث ما قل أن يحفظه غيره؛ ولذلك وصفه الإمام الحافظ ابن حجر –رحمه الله– بحافظ الصحابة حفظ أكثر من أربعة آلاف حديث عن رسول الله –ﷺ– . أسأل الله أن يعظم أجره وأن يجزل ثوابه عن الأمة.

ثم انظر إلى شدة حرصه رضي الله عنه وأرضاه كان يصلي وراء رسول الله –ﷺ– يراقبه ويتابعه فلاحظ أنه يسكت بين التكبير والقراءة فإذا به يتعطش لكي يفيد الأمة ويقول تلك الكلمة وذلك السؤال الذي حصل منه الخير لهذه الأمة بهذه الدعوات المباركات، تحرك أبو هريرة إلى رسول الله –ﷺ– لكي يسأله ويتلطف في السؤال فمن أي شيء تعجب أتعجب من حبه لسنة رسول الله –ﷺ– وحرصه عليها، أم تعجب من أدبه وملاطفته وكمال رعايته لحق رسول الله ﷺ **[يا رسول الله – بأبي أنت وأمي –، أرأيت]** أخبرني بأبي وأمي أفديك بأبي وأمي ففداؤك أبي وأمي، وكان الصحابة –رضوان الله عليهم– يُفَدُّون رسول الله –ﷺ– بآبائهم

وأمهاتهم، وحُق لرسول الله –ﷺ– فهو أولى بهم حتى من نفوسهم التي بين جنوبهم، فهذا كله من أدب الصحابة وتعظيمهم لرسول الله –ﷺ– وإجلالهم له وتوقيرهم له، قال بعض العلماء : لقد رُزق أصحاب رسول الله –ﷺ– خير ما رُزق أصحاب الأنبياء لأنبيائهم، أعطى الله لنبيه ﷺ أفضل ما أعطى لأصحاب نبي مع نبيهم فكانوا رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل أعالي الفردوس مسكنهم ومثواهم من أفضل ما يكون وأكمل ما يكون أدباً مع رسول الله ﷺ.

[يا رسول الله، أرأيت] أي: أخبرني **[سكوتك]** السكوت هنا يطلق السكوت بمعنيين : إما أن يسكت الإنسان البتة فلا يتكلم ولا يكون منه شيء، وإما أن يكون السكوت بمعنى عدم الجهر ولكن يكون هناك كلام، فتصف الشخص بالسكوت ولكن هذا السكوت فيه كلام أو فيه الدعاء أو فيه ابتهال أو فيه تمتمة أو نحو ذلك من الكلام الخفي، وهذا هو الذي يدل عليه الحديث؛ لأنه وصف النبي –ﷺ– بالسكوت مع علمه أن هناك دعاءً بدليل قوله : **[ما تقول؟]** فقال : "سكوتك" ثم : "ما تقول؟" فدل على أن هذا السكوت لا يخلو من كلام **[أرأيت سكوتك]** لأن هذا السكوت كان قليلاً، ولذلك قال في أول الحديث **[سكت هنيهةً]** وفي رواية : "هنية" بتشديد الياء أبدلت الهاء ياءً وأدغمت الياء هنية وهي اللحظات اليسيرة، ومن هنا قال بعض العلماء : السنة أن لا يطول الإمام في دعاء الاستفتاح .

[أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة، ما تقول؟] التكبير هو تكبيرة الإحرام والقراءة قراءة الفاتحة. قوله: **[بأبي أنت وأمي]** فيه دليل على مشروعية تفديته عليه الصلاة والسلام بالآباء والأمهات فتقول : فداه أبي وأمي صلوات الله وسلامه عليه ولا بأس بذلك؛ لأن النبي –ﷺ– أقر الصحابة، واختلف العلماء في غير النبي –ﷺ– فقال بعض العلماء بالمنع، وقال بعض العلماء : بالجواز بشرط أن يكون ذلك للعالم ومن له فضل وله حق على المسلمين فإنه يجوز للإنسان أن يفديه إذا كان أعظم حرمة وأعظم فضلاً من الوالدين، فإن فضل العلماء على الإنسان إذا تعلم على أيديهم وانتفع بما عندهم من الهدي والخير فضلهم أعظم من فضل الوالدين ولذلك قالوا : لا بأس أن يفدوا بالآباء والأمهات لأن هذا مقصود شرعاً وهو من تعظيم شعائر الله قال الله –ﷻ– : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ قال بعض العلماء : "شعائر الله" جمع شعيرة وهي كل شيء أشعر الله بتعظيمه، فتعظيم العلماء في الحدود الشرعية دون غلو وتنطع فإنه يعتبر من مقاصد الشرع إذا كان ضمن الحدود والضوابط الشرعية لأن هذا يزيد من هيبة الدين وهيبة العلم الذي وعوه في صدورهم .

يقول رضي الله عنه وأرضاه : **[ما تقول؟]** أي: أيّ شيء تقول؟ فيه دليل على مشروعية الدعاء بين التكبير والقراءة، وهذا مذهب جمهور العلماء –رحمهم الله–وقال به الصحابة –رضوان الله عليهم– ولذلك استفتح

عمر بن الخطاب حينما قدم عليه أقوام من البصرة فأراد أن يعلمهم السنة فجهر في استفتاحه فقال: سبحانك الله وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك . جهر بذلك ورفع صوته حتى يتعلم هؤلاء سنة رسول الله –ﷺ– وهديه، وقوله : **[ما تقول]** أي : أي شيء تقول وفيه دليل على سؤال العالم وتتبع السنة والتحري فيها لما في ذلك من الخير للإنسان، قيل لابن عباس –رضي الله عنهما وأرضاهما– كيف أصبحت عالماً ؟ قال ﷺ : إنه كان لي لسان سؤول وقلب عقول . كان لي لسان سؤول وقلب عقول . أي لسان أسأل به عما جهلت وقلب أعقل به ما يقال لي، فإذا رُزق العبد السؤال والاستفسار والاستبيان والاستيضاح من هدي وسنة النبي –ﷺ– فإن الله يرزقه العلم النافع قال الله –ﷻ – فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون .

وقوله عليه الصلاة والسلام : **[(اللهم باعد بيني وبين خطاياي)]** "اللهم" أي: يا الله حذفت الياء ياء النداء وعوضت عنها الميم ولذلك لا يقال : يا اللهم لأنه جمع بين البدل والمبدل إلا في ضرورة الشعر، ولذلك قال ابن مالك :

والأكثر اللهم بالتعويض وشذ يا اللهم في قريض

ومنه قول الشاعر :

إني إذا ما حدث ألما ناديت يا اللهم يا اللهم

وقوله : **[(اللهم باعد)]** مأخوذ من البعد والبعد ضد القرب، وقوله: **[(باعد بيني وبين خطاياي)]** الخطايا جمع خطيئة مأخوذة من الخطأ والخطأ ضد الصواب لأن العبد إذا عصى ربه واقترف الإثم فيما بينه وبين الله أو الإثم فيما بينه وبين الناس كالمظالم فإنه قد أخطأ الصواب وجانب صراط الله المستقيم الذي أمره الله بلزومه وسلوكه والثبات عليه، فوصف بكونه مخطئاً ووصفت الخطيئة بكونها خطيئة من هذا الوجه.

وقوله عليه الصلاة والسلام : **[(باعد بيني وبين خطاياي)]** قال بعض العلماء : إن الخطايا والذنوب والآثام كلها بمعنى واحد فكلها مشتركة في معنى المعصية واقتراف الذنب وإصابته، وقال بعض العلماء : هناك فرق بين الخطأ وبين الإثم فالخطأ ما كان بين العبد وربه مما لا يطلع عليه إلا الله والذنوب التي تكون بين الإنسان وبين ربه كما لو صلى وقصر في صلاته أو لم يصم أو أفطر في صيامه فهذا يوصف بكونه خطيئة، وأما الإثم فهو الذي يكون بينه وبين الناس كالشتم والسب واللعن والقذف ونحو ذلك من المظالم والأذية التي يؤذي بها الإنسان غيره، والصحيح أن الخطيئة والإثم والذنب كله بمعنى واحد لأنه لم يرد في الشرع ما يدل على التفريق بينها ولذلك جمعها رسول الله –ﷺ– تعليماً للأمة .

وفي قوله عليه الصلاة والسلام : **[(اللهم باعد بيني وبين خطاياي)]** فيه دليل على أن هلاك العبد وحرمانه من الخير موقوف على ذنبه وإساءته وأن الرحمة والتيسير والبركة والهداية تنتظر العبد إذا أطاع الله،

ولذلك سأل الله –ﷻ– وهو واقف بين يديه واستفتح الصلاة التي هي أفضل العبادات بعد الشهادتين استفتحها بسؤال الله أن يباعد بينه وبين الذنوب؛ ومن هنا قال العلماء : إنه لا يمكن للإنسان أن يجد لذة الطاعة إذا كان عاصياً لله –ﷻ– وإذا حُرم الإنسان الخشوع في صلاته وكان بعض العلماء إذا اشتكى له الإنسان أنه لا يجد الخشوع في صلاته ذَكَّره بالله في ذنوبه التي بينه وبين الله وفي ذنوبه التي بينه وبين العباد فقل أن تجد إنساناً يعصي الله –ﷻ – ويخشع في صلاته، لأن المعاصي ترين على القلب فيظلم القلب ولربما – والعياذ بالله– طمست بصيرة القلب بسبب الذنوب فهي تميت القلوب ويورث الذل إدمانها –نسأل الله السلامة والعافية– فشؤمها عظيم وبلاؤها عظيم حتى قال العلماء : ما سميت السيئة سيئة إلا لأنها تسيء إلى صاحبها في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معاً، ولذلك سأل النبي –ﷺ– ربه أن يباعد بينه وبين الذنوب والخطايا وذلك أبلغ في حضور القلب وخشوعه وأن يجد لذة هذه الصلاة ومناجاة الله –ﷻ– .

وقوله عليه الصلاة والسلام : **[(اللهم باعد بيني وبين خطاياي)]** قال بعض العلماء : هو كناية عن المغفرة وأن الله –ﷻ – يغفر له ذنبه ويستر له عيبه فيسأل العبد ربه بهذا الدعاء ويستفتح به حتى يستر له عيبه ويغفر له ذنبه .

وقوله عليه الصلاة والسلام: **[(اللهم نقني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس)]** النقاء هو الطهارة والنظافة ولا يوصف الشيء بكونه نقياً إلا إذا كان طاهراً من الدنس، فلما كانت الذنوب إذا أصابها العبد فإنه يتلطخ بها وتستضر بها أعضاؤه حتى تحرم البركة في السمع والبصر والجوارح بسبب الذنوب –نسأل الله السلامة والعافية–، قال بعض العلماء : إن العين إذا أرسلت في حرمة من حرمات الله ربما حرم الله صاحبها البكاء من خشيته وأن تدمع من خشيته، حتى إن صاحبها يخشع ويتأثر ويتضرر ويجد الحزن في قلبه والخشوع في قلبه ويريد أن يبكي ويريد عينه أن تدمع فلا تدمع مما ران عليها من الذنوب، ولذلك ينبغي للإنسان أن يسأل الله دائماً أن يسلمه من ذنبه وكان من قوله عليه الصلاة والسلام في استفتاحه في خطبة الحاجة : ((ونعوذ بالله من شرور أنفسنا)). لأن شرور النفس تهلك العبد.

وقوله عليه الصلاة والسلام : **[(اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد)]** قوله : "اغسلني" الغسل معروف وهو صب الماء على الشيء لتطهيره وتنظيفه، وقوله : **[(اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد)]** فيه دليل على مسألتين : بعض العلماء يقول : إن هذا الغسل حقيقي وذلك أن النبي –ﷺ– أخبر أن الذنوب تغسل فهي تغسل على وجه لا يعلمه إلا الله –ﷻ– ولذلك كان من دعائه عليه الصلاة والسلام للميت : ((واغسله بماء وثلج وبرد)) فقالوا : هذا أمر لا نعلم كيفيته وأمره إلى الله –ﷻ– وأخبر رسول الأمة –ﷺ– أن الذنوب تغسل فنحن نؤمن بهذا الأمر على ظاهره، وهذا هو مذهب السلامة أنه

إذا أخبر الله وأخبر رسوله –ﷺ– عن شيء لا يدركه العقل فينبغي للمسلم أن يبقى على حقيقة ذلك الشيء حتى يدل الدليل على استثناء فيه أو على حمله على غير ظاهره وتأويله وأما ما عدا ذلك فيبقى فيه على الأصل، وقال بعض العلماء : هو كناية عن المغفرة . وقد جاء عنه عليه الصلاة والسلام سؤال الله الغسل بالثلج والماء والبرد فيه فوائد :

الفائدة الأولى : أن الماء مطهر ولذلك أجمع العلماء على أن الوضوء والطهارة تحصل بالماء، ومن هنا قال العلماء : الأصل في الطهارة الطهارة المائية وجُعل التيمم بدلاً عن الماء لأن النبي –ﷺ– لما ذكر الغسل والطهارة ذكر الماء والثلج والبرد ولم يذكر معها التراب ولذلك صارت طهارة التراب بدلاً عن الماء وليست بطهارة أصلية، وكذلك دل على هذا الأمر الذي استنبطه العلماء من كون الماء أصلاً في الغسل دل عليه دليل الكتاب والسنة قال الله –عَزَّوَجَلَّ– : ﴿ **وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا** ﴾. وقال ﷺ في ماء البحر : ((هو الطهور ماؤه الحل ميتته)) فالماء الباقي على أصل الخلقة هو الماء الطهور وهو الذي يعتبر للطهارة والأصل في الطهارة أن تكون بالماء .

الفائدة الثانية : لما قال : **[(والثلج)]** أخذ منه طائفة من العلماء أنه يمكن للمسلم أن يتوضأ بالثلج وأنه إذا أَمَرَّ الثلج حتى وجد برد الماء وسيل الماء على أعضاء الوضوء أن ذلك يجزيه وأنه يصح منه؛ ومن هنا قالوا : من وجد الثلج لا يعدل إلى التيمم بشرط أن يمكنه استعماله، أما لو كان استعماله للثلج على وجه لا يراق به ماؤه على البدن ولا يمكنه أن يسخنه حتى يصل إلى مائه وأمكنه أن يجريه على أعضائه حتى يجري الماء على ظاهر الأعضاء فإنه لا يعدل إلى التيمم لأن هذه الطهارة مجزئة . وقوله عليه الصلاة والسلام: ((والبرد)) فيه دليل أيضاً على أن البرد ينزل في الطهارة منزلة الثلج والماء وأنه لا يعدل إلى التيمم إذا وجد الماء والثلج والبرد إذا أمكن استعمال الكل على الصفة التي ذكرناها .

هذا الحديث اشتمل على سنة دعاء الاستفتاح، ودعاء الاستفتاح جمهور العلماء على مشروعيته وسنيته، وقال بعض السلف : إن السنة أن يبدأ الإنسان بالقراءة كما هو قول الإمام مالك –رحمه الله– وطائفة من السلف واعتذر للإمام مالك بأنه لعله لم يبلغه حديث رسول الله –ﷺ– في دعاء الاستفتاح والنبي –ﷺ– قال للمسيء صلاته : ((إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن)) فلم يأمره بدعاء الاستفتاح ولكن يجاب عن هذا بأن حديث المسيء صلاته إنما هو في الأركان والواجبات وحديثنا في دعاء الاستفتاح في المستحبات، ودعاء الاستفتاح ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : ما كان مشتملاً على الدعاء المحض .

والقسم الثاني : ما كان مشتملاً على التمجيد المحض .

والقسم الثالث : ما كان جامعاً بين التمجيد والدعاء .

أما القسم الأول وهو الذي يشتمل على الدعاء المحض فمنه حديثنا؛ لأنك إذا تأملت دعاءه – عليه الصلاة والسلام – في هذا الحديث وجدته دعاءً محضاً **[(اللهم باعد بيني وبين خطاياي اللهم نقني من خطاياي)]**، **[(اللهم اغسلني من خطاياي)]** فهو دعاء محض وليس فيه ثناء ولا تمجيد .

النوع الثاني أو القسم الثاني : ما كان مشتملاً على التمجيد المحض ومنه حديث أم المؤمنين عائشة وأبي سعيد الخدري –رضي الله عن الجميع– أن النبي –ﷺ– كان يقول : ((سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك)) وفي رواية كان يزيد : ((لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله)) ثلاثاً ((أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه)) هذا نوع من أدعيته عليه الصلاة والسلام للاستفتاح، لكن حديث عائشة أضعف من حديث أبي هريرة الذي معنا ولذلك حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– ثابت في الصحيح وأما حديث عائشة فاختلف في إسناده وحسن بعض العلماء إسناده ومنهم من يقول : يرتقي إلى درجة الصحيح لغيره، ولكن ثبت عن عمر بن الخطاب في صحيح مسلم أنه دعا بهذا الدعاء ((سبحانك اللهم وبحمدك ...)) إلى آخره.

فهذا النوع الثاني وهو التمجيد المحض الذي اشتمل عليه حديث عائشة –رضي الله عنها وأرضاها– ((سبحانك اللهم وبحمدك)) واختار جمع من السلف ومنهم الإمام أحمد –رحمه الله– هذا النوع من الاستفتاح لاشتماله على أحب الكلام إلى الله بعد كتابه وهو قول : سبحان الله والحمد لله فإنه يقول : سبحانك اللهم وبحمدك واشتماله على توحيد الله –عز وجل– ((ولا إله غيرك)) وكذلك كون عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– استفتح به جهراً، وقال بعض العلماء باختيار حديثنا لأنه أقوى وأثبت، وأما بالنسبة للتمجيد فهناك ألفاظ أخرى تدل على الاستفتاح بالتمجيد ومنها ما ثبت في الصحيح أن النبي –ﷺ– كان يصلي بأصحابه فكبر رجل وراءه كان مسبوقاً فكبر ثم قال بعد تكبيرة الإحرام : اللهم أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً فلما سلم النبي –ﷺ– قال : ((من منكم قال كذا وكذا آنفاً ؟ قال : أنا يا رسول الله قال : والذي نفسي بيده لقد رأيت بضعاً وسبعين ملكاً يبتدرونها)) فدل على فضيلة الثناء على الله وتمجيد الله –عز وجل– وفضيلة هذا النوع من الاستفتاح .

وأما القسم الثالث من الاستفتاح يشمل النوعين وهو أن يكون مشتملاً على الدعاء ومشتملاً على التمجيد وفيه حديث علي –رضي الله عنه– في صحيح مسلم وهو من أطول الأدعية في دعاء الاستفتاح ومن أجمعها وأعظمها وفيه أن النبي –ﷺ– كان إذا قام إلى الصلاة أي كبر تكبيرة الإحرام قال : ((وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين، اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت أنت الملك لا إله إلا أنت، وأنا

عبدك ظلمت نفسي ظلماً كثيراً واعترفت بذنوبي فاغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني شرها وسيئها لا يصرف عني شرها وسيئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير بيديك والشر ليس إليك، اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها)) فاستفتح بالآية : وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين اختلف العلماء في هذه اللفظة : فبعض من أهل العلم يقول : يقول في استفتاحه : وأنا من المسلمين ولا يقول : وأنا أول المسلمين لأن النبي –ﷺ – قصد الدعاء ولم يقصد الآية فقالوا : يقول وأنا من المسلمين لأن النبي –ﷺ– أول المسلمين فلاق به أن يقول : وأنا أول المسلمين، وقال بعض العلماء : بل يلزمه أن يتابع رسول الله –ﷺ – وأن يأتي باللفظ كما هو ولا يعتقد في قرارة قلبه أنه أول المسلمين، إنما يعتقد أنه من المسلمين ويقصد متابعة النبي –ﷺ– في اللفظ، وهذا هو أصح القولين أن عليه متابعة اللفظ كما ورد، وهذا النوع من الاستفتاح غالباً ما يتيسر للإنسان في الصلوات الطويلة التي يحتاج فيها إلى وقت طويل أو يطيل فيها كصلاة الظهر كان من هديه عليه الصلاة والسلام أن يطول فيها فيستخدم مثل هذا النوع من الاستفتاح ولا بأس أن يفعل ذلك في بعض الأحيان تعليماً للناس وتذكيراً لهم بسنة النبي –ﷺ– وهديه – والله تعالى أعلم – .